فاتسعت مساهمة المستفيدين من وطنييها في الحركة العربية القومية، وأنشئت فيها صحف جديدة، أو طورت الصحف السابقة، واشتد ساعدها في معارضة الخطر الصهيوني[٥١].

اما الحركة الصهيونية، فان سقوط حكم السلطان عبدالحميد، الذي كان موقفه يشكل احدى العقبات الكبيرة في وجه مشروعها، انعش آمالها وبعث فيها حركة جديدة من النشاط الموجه للحصول على تأييد الحكام الجدد. وقد اثيرت شكوك كثيرة حول موقف الحكام الاتحاديين من المطالب الصهيونية، وراجت اشاعات واسعة عن وجود يهود بينهم. بل ان احاديث اكتست اهمية تفوق اهمية الاشاعات راجت حول دور قام به من يسمون بيهود الدونمه في التحضير للانقلاب الاتحادي، وهؤلاء تعود اصولهم الى جماعة من اليهود تبعت، في العام ١٦٦٦، شبتاي زيفي الذي اعلن انه المسيح المنتظر، وعندما القي القبض عليه، خيّرته السلطات بين الاعدام او اعتناق الاسلام فتحول عن ديانته اليهودية ودخل هو وافراد جماعته الاسلام، فيما اضمروا، هم وذريتهم، كما يروي مثيرو الشكوك، يهوديتهم[٥٢].

وعلى كل حال، فان ما اثير بهذا الصدد يدفع الى التساؤل حول ما اذا كانت القوى المتضررة من سقوط السلطان عبدالحميد، وكذلك القوى العربية الساعية الى الاستقلال ايام حكم الاتحاديين، هي التي اسهمت في ترويج الحكايات المبالغ فيها في هذا الصدد.

وحتى لو كان لهذه الشكوك شيء ما يثبت بعضها، فان ما تم، على صعيد الواقع الملموس، هو ان انقلاب الاتحاديين وقع بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الثامن في لاهاي في آب (اغسطس) ١٩٠٧. وكان هذا المؤتمر سوّى الخلافات بين تيار السياسيين وتيار العمليين من الصهيونيين، حين اقر نهجاً عبر عنه انتخاب د. حاييم وايزمان لرئاسة المنظمة الصهيونية. وكان د. وايزمان يجمع آراء الفريقين على اساس «ان نشاطنا الدبلوماسي [الذي يتبعه السياسيون] هام، ولكن الانجازات الفعلية في فلسطين [التي يدعو اليها العمليون] ستزيده أهمية. واذا استطعنا الدمج بين المدرستين نكون اجتزنا العقبة الرئيسة»[٥٣]. ومعنى هذا ان الادارة الجديدة للمنظمة الصهيونية انتهجت الاسلوبين معاً: السعي للحصول على الشرعية السياسية، وتنشيط الهجرة والاستيطان في فلسطين. وما كاد الانقلاب الاتحادي ينجح حتى بادرت هذه الادارة الى الاتصال بالحكام الجدد لعرض مطالبها عليهم. وأول ما فعلته، مستفيدة من جو الحريات الذي انتشر للتو، هو انها اسهمت في اقامة بنك في اسطمبول، تولى الزعيم الصهيوني جابوتينسكي منصب مساعد المدير فيه ليتفرغ، في حقيقة الامر، لمهمة تنظيم العلاقات مع العهد الجديد. وبالاستفادة، ايضاً، من جو الحريات، عملت الحركة الصهيونية على اصدار صحيفة ناطقة بالفرنسية في اسطمبول. ثم سعت الى حمل العهد الجديد على تبديل الموقف الذي سبق ان اتخذه السلطان عبدالحميد بشأن الهجرة والمشروع الصهيوني بأسره، والحصول على موافقة العهد على الاستيطان اليهودي في فلسطين. غير ان هذا المسعى لم يحقق نتيجته المرجوة. وقد جوبهت الحركة الصهيونية برفض الاتحاديين، أيضاً، لمشروعها حين جددت مسعاها هذا في العام ١٩١٣[٥٤]. وفي واقع الامر، كان عدد اليهود في فلسطين بلغ ٨٠ الفاً العام ١٩٠٧[٥٥]. وعندما حل العام ١٩١٤ لم يكن العدد يزيد على ٨٥ الفاً كما سنرى، اي ان عدد اليهود في فلسطين لم يزد، خلال ست سنوات من حكم الاتحاديين، الا بنسبة تكاد لا تذكر.

فهل كانت الشكوك التي احاطت بموقف الاتحاديين بلا أساس حقيقة ؟